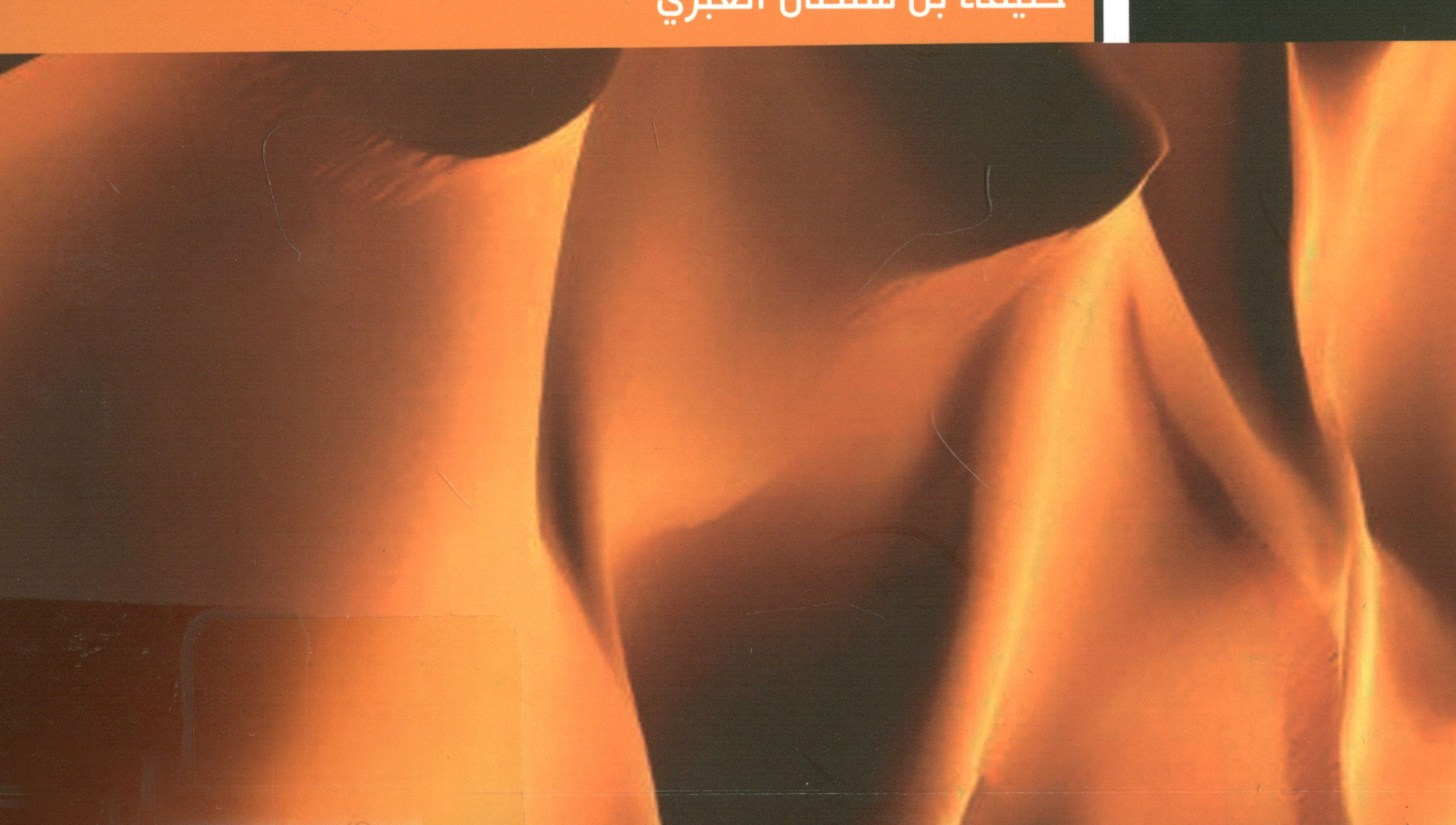
يوم على تخوم الربع الخالي

خليفة بن سلطان العبري

قصص



يوم على تخوم الربع الخالي

خليفة بن سلطان العبري

يوم على تخوم الربع الخالي

المؤلف: خليفة بن سلطان العبري

(قاص من سلطنة عمان)

الطبعة الأولى: 2013 (مسقط)

الناشر:



بيت الغشام للنشر والترجمة

مؤسسة التكوين للخدمات التعليمية والتطوير

(سلطنة عُمان - مسقط)

للتواصل:
alghshamoman@gmail.com
هاتف: 24398889 - 99260386
ص.ب: 745 الرمز البريدي: 320
www.altakween.com

صورة الغلاف:

أحمد بن عبد الله الحوسني

تصميم الغلاف:

أحلام بنت محمد الرحبي

رقم الإيداع 138 / 2013

الإهداء

إلى كل (لا)

منتصرة للحق والنبل

((مياه الغدير التي تصل البحر، وترى أمامها المدى الأزرق اللامتناهي وتختلط بهذه الأمواج الزرق العظيمة، يحب ألا تنسى النبع العالي في الجبال الذي بدأ منه طريقها فوق الأرض، وذلك الطريق الحجري الضيق المتعرج الكثير المنحدرات الذي قطعته)).

(رسول حمزاتوف)

ملتقط الخاتم

صفوف وتجمعات متناثرة من الرجال والنساء على طول المضمار والشارع المحفوف بأشجار النخيل..

أعداد كبيرة من البشر لدرجة ان الضيف يشك من أول وهلة بأن كل هذه الكثافة البشرية هم أبناء قرية واحدة. ربما اتوا من قرى ومناطق قريبة ليستمتعوا بالاستعراضات التي كثيرا ما سمعوا عنها أو شاهدوها حتى قال بعضهم بأنها مضرب المثل في الفراسة والشجاعة وقال آخرون بأنه مضرب المثل في الفروسية.

قال احد الواقفين فوق تل التنور لرجل جلس بجانبه " لقد شاهدته العام الماضي في أيام العيد الكبير وهو يرمي سلاحه في السباق ليلتقطه وخيله في أقصى سرعتها".

قالت إحدى النسوة لأخرى تجلس بجانبها تحت ظل الغافة الكبيرة "في سباق العام الماضي هاجت إحدى الخيول وكادت تقتل فارسها عيسى ولد ضاعن حيث انطلقت به إلى اَخر أطراف القرية لتهوي به في حفرة حفرها المزارعون لأخذ التربة". عندما أخذ الفرسان يتجمعون بخيولهم بين ساحة الحصن والمنطقة التي يبدأ فيها فلج القرية في الظهور الى السطح قادما بالتدرج الى الأفق من أعماق جوفية سحيقة

والتي يطلقون عليها تسمية (الشريعة) يتناقشون على هيئة تجمعات ثلاثية ورباعية من على ظهور جيادهم ذات الذيول الدالة على أصالتها وسلالتها العربية.. كان نسيم العصرية يسرق روائح أوراق السدر من رؤوس النساء اللواتي لبسن أبهى حللهن، بينما يفوح شذى أوراق نبات عطري آخر تميزت نساء هذه القرية بغسل رؤوسهن به يسمى (الياس) فيما كانت خلاخيل الفتيات تعزف مداخلة الشجو مع أعين المراهقين.

في جانب اَخر تجمع عدد من الحضور لمعالجة ناصر احد أبناء القرية بعد أن أصيب في رأسه بحجر من الحجارة التي رشقته بها إحدى النسوة بعد محاولة إعطاء ابنتها ثمرات من (الأمبا).

بعد برهة ورغم هذا الجو المشحون بالصور المتباينة طبق الهدوء والسكينة على المكان فجأة ولم تبق سوى همهمات تشير إلى انه قد وصل.

جاء ممتطيا فرسه الشقراء ذات العينين البراقتين اللامعتين الواسعتين. رجل ذو لحية اجتاحها غبار الزمن بشكل تام وناصع وقسمات وجه تختلط فيه الملاحة والوقار يسير بتواضع ولكن تواضع مهيب تجلى ذلك من طريقة تسليمه على الناس ومداعبته لفرسه وسط أناشيد مجموعة من الحاضرين:

والخيل عزه كلها.... تبغي رجال إعزاز همه الشرف في ظهورها... لعاج كالسيف اليمان.

كان المضمار على طوله قد رش بالماء بواسطة أواني حملت على الرؤوس، فمعظم نساء البلدة قد قمن بجهود جبارة منذ منتصف اليوم، فتوقهن إلى مهرجان البلدة قد أنساهن حجم المجهود.

حين أعطى إشارة البدء انطلق على الفور اثنان من الفرسان في أقصى سرعة ليتلاحما كل يد من احدهما امتدت لتلتف تحت كتف الأخر وهما فوق فرسيهما على طول المدى.

بعدها انطلق أربعة من الفرسان في سباق الشوط الأول حيث فازت فيه الفرس البيضاء. عند انتهاء ذلك الشوط بدأ الرجل الوقور يدخل الميدان بفرسه الشقراء ليقف فوق ظهرها ممسكا لجامها بأسنانه وسط ذهول وتصفيق ونغمات الحماسة من قبل الحاضرين.

فرسه تميزت عن الخيول الأخرى برقبة طويلة مليئة بالعضلات مقوسة ومرتكزة عاليا وبها شعر عرف ناعم أما ظهرها فقصير ممتلئ بالعضلات يبدأ بالحارك النافر الدال على القوة وينتهي بالقطاة العريضة المكتنزة.

قال أحدهم لأخر بجانبه «ظننت إن هذا الرجل لن يستطيع القيام

بهذه الحركة هذه المرة، فالسن له طبيعته».

وعاد من جديد لكنه هذه المرة اقتاد معه فرسين لينطلق بهما مقربا الفرسين من بعضهما البعض ، يقف فوق الاثنين كل قدم فوق ظهر فرس.

.."ليس غير العسل والسمن يسند عظامه" قال ذلك أحد الحاضرين هامسا لأخيه .

وقال آخر "انه لا يعطي خيوله غير عسل النحل وسكر الأقلام وتمر الخلاص والفرض".

وعاد من جديد خالقا التساؤل: هل يقوم بالحركة المذهلة التي لا يقدر عليها غيره، الحركة التي تقف لها القلوب ولا تعود إلى خفقاتها حتى يتمها!..

كلمات الحماسة تتصاعد.. برق الرجال يشع من فوق ظهر الخيل...

يرمي بندقيته ليعود إليها منطلقا وسط صراخ الحضور ويلتقطها بيده اليمنى وخيله في أقصى سرعتها وكلمات الحماسة تتعالى ، همه الشرف في ظهورها لعاج كالسيف اليمان...

ما لبث أن أخذ راحة لبضع دقائق حتى عاد مرة أخرى وهو يرفع بيده اليمنى خاتمه الفضي ذو الفص العقيق مشعلا التساؤل والهمسات

ماذا سيفعل؟!..

هل يعقل أن يفعلها؟!.. من غير المتوقع نجاحه هذه المرة!

النغمات تتواصل.. الخيل عزه كلها تبغي رجال إعزاز...

ولده الأربعيني هرول خلفه في محاولة لإثنائه عن عزمه، فهذه الحركة تشكل خطرا كبيرا عليه.. انه لم يفعلها في أيام شبابه، هل سيستطيع فعلها الآن وفي هذا السن؟!.

برق الرجال يشع من فوق ظهر الخيل... لكنه كان مصمما عازما عزيمة الواثق.. رمى بالخاتم في الأرض موازيا لبئر قناة الفلج والتي يسميها الناس في هذه القرية والقرى المجاورة (الثقبة)، ثم مضى مبتعدا ناحية المدخل الشمالي الشرقي للمركاض (الميدان) عند البقعة التي تنتهي عندها صفوف النخيل لتبدأ مزارع الأعلاف قانية الخضرة متواصلة حتى حدود القرية المجاورة. أتى من هناك وامضا كالبرق وسط دويا من الصرخات المشحونة بالخوف والهلع وذيل الفرس مرتفعا إلى الأعلى فنزل بجسده كاملا إلى الأرض وبقت يده اليمنى ممسكة بالجانب الأيمن لظهر الخيل أو ربما الجانب الأعلى لبطنها من الناحية اليمنى راسلا الأسئلة على اتساعها غير متخيلة انه قد تخطى الستين

ليضع يده على الخاتم، بيد ان الخاتم لم يكن منجذبا، كأنه كان جاذبا كالمغناطيس. انفلتت اليد اليمنى للرجل وأنفاس المتحلقين زفرات جماعية، أشواط السباق المتبقية الغيت، وشوهدت فرسه الشقراء تعود وحيدة الى مربطها.

ذات ضحى

يوما كبقية الأيام أشرقت الشمس على موعدها وكشفت للعين المجردة مستور الأرض فانطلقت الأرجل باتجاه الدروب التي توزعهم على مصدر معاشاتهم الشهرية وربما اليوميات عند العاملين بأجرة يومية.

بيد ان هؤلاء الساعين الخارجين من بيوتهم وأولئك الماكثات فيها من ربات البيوت يؤكدون تكرارا بأن قلوبهم كانت منذ الصباح تشي بأن هذا اليوم سيكون مختلفا وإن هناك شيئا ما سوف يحدث.

***

حارة صغيرة تتوسط القرية لا يزيد عدد بيوتها عن اصابع اليد الواحدة، واحدا منها صغير يحتوي على غرفة واحدة متسعة تفي بغرضي النوم والاستقبال بالإضافة إلى مرافق متواضعة للمعيشة .

على يمين المدخل هناك غرفة حوائطها مبنية من حجارة وطين محروق منذ عقود لا يذكرها اجداد الذين يشكلون ارقاما في تعداد السكان. اما سقيفتها فليست سوى أغصان شجرة (امبا) مخضرة تلامس عروقها قناة الفلج الرئيسة التي يعبر من خلالها ما يهب الحياة لأرض القرية.

***

الفجيعة تهز القرية .. الخبر وصل من المشفى البعيد كالصاعقة. النسوة النائحات مهرولات كأنهن في سباق جائزته اليتم.

جماعات تهرول ناحية الحارة التي تضم البيت الصغير وجماعات تهرول باتجاه المدخل المفضي لحفر نهايتهم الحتمية.

بينما يحبس الرجال دموعا ربما إذا خرجت ستغرق شعر ذقونهم المتباينة في الطول والقصر والكثافة.

***

المهرولون والواقفون المصعوقون بخبر الفجيعة بدأت عقولهم تائهة. متراجعة للوراء تتذكر مواقف مختلفة لها.

يتذكرها العديدين يوم كانت تضحي بمزارع وأملاك ورثتها عن والديها حتى تنفق بسخاء على من اذل اليتم طفولتهم او اثقلهم معاناة التشرد والفقر.

بينما تحدثت النسوة بأنها كانت مأوى المطلقات والأرامل ومن لا يملكن اللجوء للنصر على زوج كسرت عصاه أضلاعهن.

يتذكر راشد المتهدل يوم اعاقه قلة ما في اليد عن السفر للبحث عن عمل وقال: يوم وصلها الخبر ارسلت ما احتاجه ويزيد .

ورد عليه سلوم الزمار: لو ما فدت بيتي المرهون كان جارك عوض

الزوادي طردني وخلاني أنا وأولادي ندور ظل سدره.

تتذكرها العجوز نشه قائلة : بأنه لولاها لما انتزعت حقها في إرث ابيها من اخوة جحدوا ان لها إرث.

اصاب الإغماء رياء حينما سقط على مسامعها خبر غياب من كانت لها الحضن الدافئ بعدما غيب الموت والديها فكانت لها الوالد و الام حتى انتقلت الى بيت الزوج .

***

يحكى الناس بالقرية ان احد مشايخ الظاهرة الكبار عزم يوما على خطبتها فقصد القرية بصحبة عدد من قبيلته..

و حينما و صل الى مشارف البلدة وقص عليه سيرتها و طباعها و مكارمها و اخلاقها تغير و جهه و ارتبك و قال لمن معه: هذه المرأة لا اقدر عليها و لا استحقها فقفل عائدا من حيث جاء.

***

الاجيال التي ولدت في اربعينيات او خمسينيات القرن العشرين لم تنسى و ان تناست الموقف سيذكر به الاخر آخر حينما كشف الموقف الصعب انها كانت حاكمة القرية.. تحكمها بحضورها الشفيف وبكلمتها التي لا تسقط على الأرض ابدا..

فبينما كادت البنادق ان تستنفد صبرها و تشرع في تصويب فوهاتها لترسم طريقا لمخزون بارودي لا يرحم.. و كانت السبابة الصغيرة على مسافة عقلة اصبع من اطلاق صفارة البداية لمباريات ثأرية بين عائلتين و كانت الحكمة غائبة عن عقول ادمنت الحوار بلغة الرصاصة. كانت عقليتها حاضرة و حكمتها اكثر حضورا و لتأثيرها سطوة على المكان و الزمان و الناس. فدخلت على خط المواجهة تصرخ من البعيد بثلاث كلمات بالأولى اعطتهم مصل الهدوء. و بالثانية اعادت البنادق لتعلق على الخواصر و بالكلمة الثالثة لولا مشاعر العزة التي تتلبسهم لتصافحوا.

***

السيارة البيضاء وصلت تحمل الجسد المسجى. التهليل يتصاعد والعويل زوابع .. والأيادي في سباق تحمل النعش والإغماء حالات تتوالى. يقال بأنها ومنذ العام الفائت كانت تردد في جلساتها:

الحياة درب بدايته بطن ونهايته بطن

ما لنا حيلة لا على البداية ولا على النهاية.

يوم على تخوم الربع الخالي

كادت سيارة الدفع الرباعي ذات الكبينة الواحدة أن تنغمس بنا في كثيب من الرمال حينما أخرجها حمدان من الشارع المرصوف بصورة مفاجئة بعد أن التفت متأخرا إلى الدرب المترب الذي يوصلنا إلى المكان المقصود.

كان دربنا يكشف فضاءا رحبا لا يقطع إبصار اتساعه بين الأرض والسماء سوى أشجار السمرَ المتناثرة بكثافة متباينة وكنت وسليمان نتراص على كرسي واحد مع السائق داخل سيارة (أبو شنب) كما يطيب للناس هنا تسميتها.

ربع ساعة ونوصل عند الجماعة قال حمدان طالبا مني تحديدا تحمل هزات الطريق الممتلئ بالمطبات الرملية إدراكا منه بعدم تعودي على مثل هذه الطرق كسليمان رفيقه اللصيق. (عزبتهم) كانت أقرب لكنهم نقلوها أبعد بحوالي عشرة كيلومترات يقولون إن المرعى هناك أفضل قال سليمان.

الطريق لا يقطع وحدتنا فيه غير سيارات تحمل مسمى إحدى شركات البترول المعروفة وسيارات أخرى تبدو كأنها لمقاولين فرعيين للشركة ذاتها.

وصلناهم قال حمدان حينما تراءت أمام عينيه وعيوننا فيما بعد تجمع لسيارات أغلبها من نفس نوع سيارته (أبو شنب) وقطعان من جمال متفرقة بعضها يجول في المنطقة وأخرى موزعة على أكثر من أربع حظائر.

كان استقبالهم تحت أشجار الغاف يشرح النفس حقا تشعر بأن اشتعال الصباحات الطبيعية تكون هنا. صبح لا يكسر سكونه غير حداء الإبل ونسيم عليل بين فصلي الصيف والشتاء تكون فيه الرمال قد ودعت شهورا من القيظ اللافح الذي يكاد يحولها إلى موقد طبيعي لشواء كل شيء.

خيل إلي لحظتها بأنني أعيش جزءا من الواقعية السحرية.

لم يكف مضيفنا سعيد الردعي عن تكرار عبارات الترحيب بنا مع ابتسامة لم تغب حتى وهو يأمر ولده(علي) بحلب الناقة فكنت أول من أشير إلى علي بتسليمه الطاسة الممتلئة عن آخرها مع رغوة تكاد تفور خارجها، بعد أن أبوا أن يشربوا قبلي في إيثار يبدو إنه ليس بغريبا عنهم، لكن في قرارة نفسي كنت أقول لو ثمة من شرب قبلي لحرمني تقززي من تذوق حليب الناقة . فلكي تشرب بهذه الطريقة يتحتم عليك أن تنفخ في الطاسة حتى تبدد الرغوة ثم تشرب.

- الرجال من رعاة الدار لكنه من صغره عايش في مسقط (قال حمدان وهو يعرف سعيد الردعي والآخرين بي) أثار انتباهي كلمة (مدني) على لسان سعيد الردعي بعد ما أخذ صاحبنا سليمان يساومه على إحدى النوق لكزت حمدان « مدني يعني إيش؟» رد علي وكأنه يستنكر عدم معرفتي» يعني الناقة حامل».

سرعان ما عدت لأربت على ساعده بأناملي بعد أن سمعت منهم كلمة أخرى (الزمول) يعني إيش؟! «يعني ذكور الجمال يالحضري» رد حمدان.

وقلت مبتسما تصدق إن كلمة الحضري ما سمعتها من سنين طويلة من أيام ما كان البدو يتوافدون بكثرة على قريتنا أيام القيظ طلبا للتمور التي كانت تجود بها مزارع القرية وبسبب دعاباتنا مع أبنائهم يتم تصغير الحضري إلى حضيري والبدوي إلى بديوي.

التفت الجميع إلى سيارة قادمة تتضح بأنها واحدة من تلك السيارات التابعة لشركة البترول التي صادفنا مثلها في طريقنا.

سأعرف لاحقا بان الرجلين اللذين ترجلا من تلك السيارة ليشاركانا جانبا من قيلولتنا يقتربان من مرحلة التقاعد بعد أن أمضيا ٤٥ عاما من العمل في صحراء تكاد تكون مقفرة.وحينما خرجا من قريتهما التابعة

لولاية عبري في مطلع ستينات القرن العشرين ولم يكونا قد تجاوزا الخامسة عشر بعد. وكانا كمن عثر على كنز. فهما لن يضطرا إلى الغياب عن قريتهم أكثر من ثلاثة أسابيع وليس سنوات كحال الكثير من أبناء القرية وسيحصلان على رواتب سخية إضافة إلى مؤونة أبرز ما فيها هو البسكويت يجمعا بأنه كان بالنسبة إليهم في تلك السن ألذ بسكويت أكلاه في حياتهما الماضية وحتى اليوم.

كان ابن سعيد الردعي مطر وإخوانه سالم وحمود يهبون حين يتلقون أمرا من أبيهم ناهضين من جلوسهم قفزا كظبي من الظباء التي خيل إلي وجودها متدارية بين الشجيرات المتناثرة أو خلف التلال الرملية قبل أن تبيدها الأسلحة الآلية وقسوة المناخ الذي زاد خلال العقود الأخيرة شدة وغلظة. وحينما ينادي عليهم أو على الآخرين من رفاقه تكتشف إن كلمة نعم لا تخرج هنا باردة بل كأنها تأكيد استجابة من أفواه جنود في صفوف عسكرية.

حين رأيت أحواض المياه المخصصة لشرب النوق سألت سعيد الردعي من أين تأتون بالماء؟ قال من قريب. حفرت لنا شركة البترول بئرا والحكومة حفرت لنا بئرا كذلك. مال سليمان جهة أذني اليمين قائلا(قريب بدو)

- ماذا تعني قلت هامسا لسليمان؟

- حينما يقول لك البدوي قريب توقع إن المكان أو البئر على بعد سبعين أو ثمانين كيلومترا. وصاحب الجمال لا يشعر بطول المسافات.

ولكي يبرهن سليمان على كلامه سأل سعيد الردعي : وين حصلت السنة الماضية الناقة الحميراء؟ رد عليه في «مقشن» عند صاحبها.

هالتني المفاجأة وقلت بصوت مرتفع: على بعد سبعمائة كيلومتر!

رد الردعي: الأماكن ما بعيدة هذا الزمان. أول ما كان عندنا سيارات ونقتفي آثارهن حتى «الجازر» في المحافظة الوسطى وحتى «الإحساء» في السعودية نمشي في هذه الصحراء لا مراكز حدود ولا يحزنون.

نهضت من جلستي بينهم منفردا بنفسي على تلة قريبة، حيث بدا مشهدهم من هناك تحت أشجار الغاف الأخضر كالواحة التي يحيط بها أفق غير محدود . . .

مجموعة منهم بدت وكأنها تشعل حراكا في الصورة الماثلة أمام بصري وهم يتبادلون العمل على قدر ضخم يتعالى منه بخار يحمل رائحة لحم الجدي الشهي الذي ذبح بعد وصولنا بقليل ربما تصلني رائحته حيث المكان الذي انزويت فيه وربما أوجدها عقلي الباطن بعد تخيل الرائحة مما دفع بأحاسيس الجوع تدحرج قدمي على رمل التل هامسا لحمدان:

استعجلهم علشان نروح.

كان سعيد الردعي يدس ربطة من فئة الخمسين ريالا بعد أن اتفق مع سليمان على بيعه للناقة بعد ما تأكد يقينا من إنها من بنات (مصيحان) العريقات في الأصل والنسب.

و كانت السحب التي حملت أمل الرش تنزاح بانزياح الشمس من كبد السماء منحدرة باتجاه الغرب حينما ودعنا بامتنان سعيد الردعي ورفاقه عائدين للتراص داخل كبينة سيارة (أبو شنب) بينما تم إتقان تقييد الناقة بالحبال ورفعها في مشحن سيارتنا الخلفي بشكل متقن أيضا.

وقبل منتصف الطريق كانت تساؤلات سليمان حول مبلغ الألف والخمسمائة ريال التي أنقدها سعيد الردعي ثمنا للناقة تستحقه أم مبالغا فيه تتوقف بعد إقناع طويل مارسه حمدان وتدخلت فيه أيضا رغم جهلي بعالم الجمال أو عالمهم بصورة أدق. لففت رأسي متطلعا إلى الناقة التي تجلس القرفصاء خلف ظهورنا فبدا لي أن روحها ممدودة إلى حيث كانت وكأنها تطلق بكاء مكتوما على وداع قسري أو فراق نهائي.

ذباب على التمر

يد تمتد تحت ظل السدرة إلى الوعاء الأبيض المشجر لتأخذ تمرة واحدة. يد أخرى تمتد فتلتصق تمرة أخرى بالتمرة التي أخذها فيعيدها ليبرق من يده الخاتم ذو الفص الفيروزي مزينا الخنصر. تلتها يد أخرى بخنصرها خاتم ذو فص أزرق، لتأخذ واحدة وتدفع بالنواة بالبنصر في صحن النوى. تدافع الذباب حاول أن يحط على الصحن فكشته يد بلا خاتم واحدة بدت وكأنها أكثر شجاعة من الأخريات، ارتفعت عن البقية ثم نزلت لتحط على تمرة فتسارع إحدى الأيادي فتكشها. جاءت أخرى وقفت على تمرة من النوع الأسود سرعان ما طارت إلى الناحية الأخرى من الوعاء حيث وقفت على تمرة من النوع الذهبي الذي بدا بامتزاجه مع عسل التمر لامعا براقا كأن ضياء الضحى يهبه طاقة الوميض. كاد العسل أن يعتقل الذبابة لولا استماتتها في تخليص نفسها منه حينما أخذت اليد النحيفة ذات الخاتم ذو الفص الفيروزي بكشها ثلاث كشات. وبين الحصير الذي يجلسون عليه وجدار الحديقة ثمة أسراب من النمل بعضها تجتر غنائمها وأخرى تجتر خيباتها نحو الأفق المجهول لأصحاب الأيادي المتواترة على وعاء التمر. تدحرجت حبة نبق من ثمر السدرة التي يجلسون تحتها على عرض البساط حتى استقرت في البطحاء التي جلبت من وادي قريب لتستقر مفروشة بعناية في باحة البيت الكبير.

ارتفعت دلة القهوة عن مجاورة وعاء التمر ثم حملت يد من

غير خاتم الفناجين الثلاثة المصفوفة متداخلة مع بعضها بشكل رأسي. نزلت ذبابتان لتتجاورا فوق تمرة ذهبية يوحي حجمها المكتنز بأنها جنيت من نخل حقل خصيب. بدا وكأن الذبابتين أكثر حظا من رفيقاتهما، فانشغال الأيادي باحتساء فناجين القهوة أعطاهما وقتا أكثر اتساعا لامتصاص المزيد من عسل التمر الشهي. نزل صوت من وسط الدائرة مبديا امتعاضه من البلدية التي لم تعد ترش أحياء القرية بالمبيدات كما كانت حتى أصبح الذباب بهذه الكثرة ..وقال لجلسائه إرموا لها النوى وتمرة واحدة بعيدة عن جلستنا. انحدر صوت مبينا بأنه قرأ ذات مرة عن أعجوبة من أعاجيب النمل تبين بأنه إذا اكتشف إن واحدة منها تكذب تجمعن عليها وهاجمنها حتى تهلك، فعقب عليه صوت آخر: الحمدلله ما عندنا ذي الإعجوبة علشان ما نهلك كلنا، قهقه الجميع و تداخل أصوات نقاشهم حول أعجوبة النمل فبدا كأن ذبابة استغلت انشغالهم بالنقاش لتهوي كأنها نازلة من السماء على حافة الوعاء المشجر تاركة شعيراتها تمتص حلاوة التمر وتنال نصيبا أكبر من رفيقاتها بفعل انشغالهم حتى أتتها يد لتكشها ثم انتقلت للجانب الآخر فاستعانوا بأكثر من مقشة. كان الذباب يكر ويفر كمحارب.

لم تروعه الأيادي ولا خواتمها بأحجارها وألوانها المتنوعة، عقيق أو فيروز ولا فضتها سادة أو منقوشة، ولا حتى المقاش التي استعين بها بعد أن عجزت أياديهم ولم تنشغل بالنوى الذي رمي لها من بقايا أكلهم .

في انتظار السلاحف

على رمل شاطئ مصيرة الشرقي حيث يتردد الموج دافئا على الأقدام. وحيث تتراءى من الشرق سحب القارة الهندية البعيدة كتراكمات ثلجية مشوبة ببخار الماء المتصاعد من بحر العرب في نهار السماوات الصافية تباغته أم الأولاد بس يكفيك سرحان ودخان والله لو كنت أعرف إنك دواخ ما قلت عليك نعم.

نصف الشعب على هذه الحالة (يرد عليها)

كنت أخذ زوج من النصف الثاني من الشعب (ترد عليه)

قهقه بقوة وارتشف من الشاي الأحمر المضاف إليه القرنفل الذي يحب ثم متطلعا إلى حيث أبنائه محملقين في الأمواج المتلاطمة علها تجود عليهم ولو بواحدة بعد ملل الانتظار لأكثر من ساعتين وبعد أن مرت ليلة البارحة دون مشاهدة سوى لواحدة من بعيد سرعان ما ولت هاربة إلى البحر حينما شاهدتهم راكضين نحوها.

مشهد شاب يدرب كلبة من النوع السلوقي وفر للأولاد مشاهدة مسلية خففت عنهم من حدة الملل وضحكوا كثيرا حينما سمح لهم الرجل باللعب معه لعبة المطاردة ورمي الصحن الطائر للكلبة الشقراء .

أدار الرجل الراديو الصغير بعد أن أخرجه من السيارة حيث وجه الموجة إلى (البي بي سي) فهي تسمع هنا بوضوح قل نظيره في الخليج كله. فما كاد يأنس باستماع الأخبار حتى أتاه شاب من الجالسين على بعد أمتار ربما لا

تزيد عن المائة والخمسين مترا

_ تكرما السلاحف تزعجها الأصوات.

حتى لو صوت إذاعة البي بي سي؟

هذه الإذاعة بالذات هي أكثر ما يزعج سلاحف مصيرة .أقسم لك إن سمعتها السلاحف سوف تمضي ليلتنا وليلتكم دون أن تبصرها عيوننا.

عندها حق فنشرات الأخبار وتقاريرها صارت مزعجه.

_ يا أخي لا الأخبار ولا تقاريرها؟! يا أخي أهل هذه الإذاعة تحكموا في مصيرة أكثر من نصف قرن ولم يفكروا في رصف شارع فيها أو بناء مدرسة.

ربي يخليك لا تأخذني إلى أبعد من السلاحف

ليتها فرنسا أتت لهذه الأرض بدلا عنها

(سيما أخت مقزح) مرددا المثل الشهير في عمان.

لا على الأقل من يحتل لينشر ثقافته خيرا ممن يشفط ويستمر في الشفط وفوق ذلك تبحث كاميراتهم صور لبشر في حالة رثة تدعي بأنها مميزة لتنشرها في سائر بقاع الأرض متناسين انهم السبب في أي حالة بائسة.

لم يلاحظ الشاب تذمر الرجل ولا الى عينيه اللتين تجولان بينه وبين السماء والبحر والأولاد وأمهم داعيا الله بأن تخرج في هذا اليوم لتتحقق أمنية الأولاد قبل أن يضطروا لتمديد إقامتهم في هذه الجزيرة للمرة الثانية أو يعودون دون أن يروا شيئا بعد أمل كانوا يظنون بأنه سوف يتحقق عند أول ساعة للوصول.

خلف الستارة

كل ليلة أتعمد فتح خط خفيف بين تلاقي ستائر النافذة لأترك مجالا لمسامرة النجوم القصية والطائرات العابرة في الأفق البعيد وأنا على السرير الذي عملت بأصرار على أن يكون مواجها لنافذة هذه الغرفة التي لا يخفف مقدار كآبتها في نفسي غير هذه الساعات التي تنهمر تساؤلاتي وتنهداتي فيها حتى إغفاءة العيون بدمع ظاهر أو باطن.

اليوم مر عام بحساباتهم، مائة عام بحساباتي ومن يشاركني أجواء هذه الغرفة

كل ليلة أسترجع الصدمات التي تجرعنا مرارتها الواحدة تلو الأخرى

يا ترى ما الذي يدفع خالي لتأنيب أولاده حينما يراهم يجلسون معنا ليدفعهم بصوته العالي للدخول إلى غرفتهم رغم تعلقهم بنا مفضلا لهم قضاء الساعات أمام ألعاب الفيديو حتى خيل إلينا بأننا مصابون بوباء معدي يخشى على أولاده منه.

لا أعلم يا خالي ويا شقيق أمي أين يذهب صوتك العالي في حضور زوجتك حين تصبح كلمتها هي العالية عليك وتصبح أنت حمل وديع أمامها ، لست حمل وديع فقط بل أنت إمعة توافق وتؤيد كل شي تقوله بسذاجة مطلقة مصحوبة بابتسامة بلهاء.

منذ النكبة الأكبر علينا بعد نكبتنا الأولى تمارسون أنت وخالي الأصغر قسوتكم علينا دون مراعاة لمشاعرنا ، هذا الحريص على المال لدرجة الجبن والذي يسابق الناس إلى المسجد مع كل نداء للصلاة ولم

ينطق يوما بسؤال: هل تحتاجون إلى شي!. جميعكم على النقيض من أبي في كرمه ورحمته ومراعاته لمشاعر الكل بما فيها مشاعركم أنتم الذين لم تراعوا مشاعره لكن أبي كبدر تجلى في الأفق جمل السماء وأنار دروب الناس ثم تدارى.

- أبي الذي كثيرا ما كان يردد مقولة أبي العلاء المعري وهو يمسد رأسي (خفف الوطء ما أظن أديم الأرض الا من هذه الأجساد) ، ومنه حفظت قصيدة ايليا ابو ماضي

- (نسي الطين ساعة أنه طين حقير فصال تيها وعربد)

***

ولولا ما زرعه في نفوسنا لما شعرنا سوى بعالم متفسخ وفاسد، عالم تسوده الأنانية مغموس في ذاته. زرعت فينا فكرك يا أبي وهم ظلوا أميين حتى إنهم لم ينهلوا شيئا من جلساتك المثرية حين حضورك البهي بينهم . ولو فتحوا عقولهم لك لتغيرت حياتهم وتغير بؤسهم.

كم ليلة مرت يا أبي منذ أخذك قدرك المبكر والنوم إن أتى سوف يأتي على شكل إغفاءة تسرقني من تفكيري فيك.

روحي عندك هناك في عالمك البرزخي وحين تعود إلي تعود فقط لأتذكر أنفاسك حين كانت تنشر دفئها حولنا وأتساءل كل ليلة قبل أن يقدم النوم على مضض وأنا أشاهد وجوه أخواتي الثلاث النائمات على حزن يا ترى كيف سيمضين في الحياة دونك؟

إختفاء الفراشة

..كل شيء كان يسير من سيء إلى أسوأ.

منذ الأشهر الستة الماضية ذوت زروع الجانب الغربي من البستان كلها.

وفي الشهر الفائت شاهد شجرة الليمون المعمرة التي تتوسط المكان وكأن شعلة نار قد حامت حولها أكثر من مرة. كأن خنجرا طعنته حين شاهد الشجرة على ذلك الحال وتذكر أبيه الذي كان في مثل عمره الآن حينما ساعده على غرسها . انبجس الدمع من عينيه ثم قعد على الأرض حينما لم يتمالك نفسه متكئا على عصاه ليذهب في نشيج حاد كطفل .

مذ العام الفائت بدأ بستان سعيد بن سليمان يفقد زحمة أشجاره فاسحا للشمس ايصال ضيائها الحار الى الأرض بعد أن كان الظل طاغيا على المكان كله.

فقدت التربة ارتوائها وتغير الطين المبلل من لونه المائل للسواد ، فأخذ الغبار متكاثرا مع كل نسمة هواء تلامسه.

حين خفت نشيج سعيد الحاد سحبته الذاكرة الى زمن يقترب

مداه من السبعين عاما، تحديدا الى الطفل الذي كان يجني رطب النخل الصغير استجابة لطلب أمه وأحيانا جدته.. يجني من شجرة الفرصاد المحمرة أو يتربص لإصفرار أشجار الموز حتى يكون أول من يقطع الشجرة.

يرتقي هو وأخوته وبعض أبناء الجيران أحيانا الى جدار البهو الخارجي المرتفع لقطف ثمار الإمبا الأخضر، حيث لا تبقى أي ثمرة تستطيع أيديهم الوصول اليها حتى تنضج مفضلين أكله مع الملح.

يقف خلف أبوه حينما يقوم جارهم مطر بجني العسل من إحدى الخلايا المنتشرة على أشجار البستان وهو يعلم حينما ينادي أبوه على مطر أن ثمة ضيوف سيأتون وأن أمه سوف تخبز لهم خبز (الرخال) المدهون بالسمن ليأكله الضيوف قطعة قطعة بعد غمسه في اناء العسل الواسع فيما يجلس هو بعيدا عنهم لا يشاركهم الأكل لحين انصرافهم من البيت فيلتم مع أخوته وبعض أبناء الجيران الذين يكونوا متواجدين في أحايين كثيرة لأكل ما تبقى من أكل الضيوف .

إنحدار رجله اليسرى المفاجئ الى قناة الفلج أيقظته من رحلة تذكره ليصحو على القناة التي بدت كصورة واضحة لتناقص الماء

الشديد بعد أن كان كالنهر يجري بعنفوان شبابه، فيعطي البساتين حتى الشبع، ثم يخرج لمزارع البر في الناحية الغربية للقرية حيث تبدء الصحراء التي لا يصدها عن الامتداد لمعانقة الصحراء الأبعد سوى الجبل الصخري.

كان فلج القرية أو نهرها كريما الى أبعد حد كأنه ينافس في كرمه سعيد بن سليمان أو كل أهالي القرية ، بيد أن السماء كانت لا تقل كرما عنهم، فكانت حافلة بالغيوم الثقال التي تمطر بشكل لا يكاد ينقطع سوى أيام يمكن حسابها على أصابع اليد، فكان وشيش الماء في السواقي لا يخفت عن المسامع.

لكن أشجار النارنج في بستان الخالة زهرة لم يبقى له أثر بعد أن كانت ثمارها البرتقالية تتساقط على مجرى الفلج فيأخذها متموجة الى بستانهم فيبتهج، ولم تعد ثمة بقايا لرائحة الياسمين التي تتوزع على الأماكن عند هبوب النسمات في فترة العصر أو قبل أن يأتي الليل.

وقف سعيد بن سليمان بحمولة ذاكرة تتجاوز الثمانين من السنين وبلحية كثة غير منسدلة قابعة فوق وجه نحيل وهو في شوق عنيف ليرى أية فراشة من الفراشات التي كانت تلون المكان حتى

سنوات قريبة، تنهد بعمق وعينيه المبللة بالحسرة تجولان في كل اتجاه وبانفاس مثقلة يردد:

كيف تعيش الفراشة في أرض غبراء

وحال مثل ذا الحال؟

باحث عن ساعة

...أحنى رأسه ليتيح لعينيه مشاهدة المعروض تحت الزجاج الشفاف المصقول جوانبه بعناية تامة.

فرمادية الحزام التي تطوق رصغه الأيسر ملها ولم يشعر بالملل منها منذ فترة بل داهمه هذا الشعور حينما رأى تعدد مناضد العرض فجذبه ما صف فيها بأناقة بارزة.

ألوان زاهية وتصاميم جذابة كأن أحجارا كريمة على حواف بعضها بينما يتراءى لعينيه الكروم والبلاتين مصقلا أخرى. تنعكس إضاءة الأشعة الفسفورية عليها فتزيدها لمعانا فوق لمعانها الحقيقي فتغدو أكثر إغراء بالاقتناء.

لم يوقف تجوال عينيه سوى صوت مفاجئ أتاه مناديا باسمه من الناحية الخلفية لكتفه الأيسر.

- مساء الخير.

- مساء النور.

- ألم تعرفني؟!

- رأيتك من قبل لكن أين لا أتذكر.

- ألا تتذكر أيام الكلية؟!

- أية كلية؟!

- الكلية التي درسنا بها !

- الكلية مضى على وداعي لها أكثر من عشر سنوات يصعب عليّ الآن تذكر كل من فيها.

- كنا فيها أربع سنوات ولم تعد تتذكرها.

- ألا تذكر المصعد؟!

- أي مصعد؟

- مصعدها أعني الكلية

- ماذا به؟!

- يبدو بل أقسم أنك تتناسى ولم تنس ما كان بذلك المصعد!!

- أنا لا أدرك عن ماذا تتحدثين!.

- أنت تتجاهل وتتناسى كل شيء لكن لم أنس حتى (كيك) الكاسات الذي تحب أكله مع القهوة أو شاي الحليب ظهر كل يوم. ولا عشقك لتنس الطاولة ولا حتى تلهفك لسماع جديد النكت من جلساء طاولتك ، سأذكرهم لك إسما إسما إذا شئت.

- أعتقد إنك تبحثين عن شخص آخر غيري.

مضت سنوات وأنا أمني نفسي برؤيتك. بحثت عنك طويلا. ولكن ليتني لم أبحث مدفوعة بشوق جارف للقاء صادم إلى هذا الحد. أصبحت سيئا جدا.

- شكراً لك.

- هل قلت سيئا ؟ بل مسخ لإنسان أعتبره ميتا منذ اللحظة.

أشاحت بوجهها عنه، رفعت يدها اليسرى على حقيبتها البنية حتى إلتمعت ساعتها ذهبية اللون أو ربما كانت مطلية بماء الذهب إلتماعها يشي في مكنون نفسه بالقدم. تتجه إلى خارج محل الساعات والغضب المشوب بالأسى يكاد يصنع جمرا في عينيها ليتماها جسدها ضمن مئات الأجساد المتحركة بالمجمع التجاري الكبير.

ضم شفتيه ضاغطا على بعضهما البعض ثم رفع كتفاه قليلا.

تعود نظراته تتركز مرة أخرى على الساعات المعروضة.

داهمته حيرة الاختيار.

قرر تأجيل الاقتناء ليوم غير هذا اليوم لعله يجد في مكان آخر أجمل منها.

حين يصبح الأمر عاديا جدا

ككل صباح يسير في نفس الطريق
ويعود من نفس الطريق وان غيره سيكون التغيير لطارئ فقط
سيارته سيارة أجرة لكنها ليست سيارة أجرة
قال في نفسه ومن ثم قالها لزوجته : يوم ما أعطوني الرقم الأحمر يغيبوا بشغل سيارتي برقمها الخصوصي وبنفس لونها الأبيض..
أتفق مع زملائه في الوزارة القريبين من بيته: ليش تتعبوا نفسكم في الزحمة وتخسروا تواير سياراتكم ؟
ب ١٥ ريالا شهريا كان أمله أربعة زملاء..
وافق اثنان وثالث كان موافقا لكن منعه الحسد المتحكم في كل قرار عنده..
زملاء الوزارة لهم النهار
بيد ان الليل لكل من يقف على قارعة الطريق
عشرات الجنسيات وزعت أنفاسها في سيارته البيضاء التي أكملت أعوامها السبعة
لا حظ ثمة أشخاص يخافون الركوب معه
وأشخاص يرتاحون أكثر لسيارته
وقف أمام المجمعات التجارية فطارده أصحاب سيارات الأجرة المعتمدين
وحاول التصيد أمام صالة القادمين في المطار

ففر بروحه قبل أن يصطاد

حمل كبار في السن وشباب ومراهقين

نساء مبرقعات ومنقبات وبائعات هوى من جنسيات أخرى

وشواذ أيضا

في البداية كان يتردد

لكن بعدها قال في نفسه: المهم أحصل ركاب يدفعوا ولو حتى جني

ولا إبليس باغي توصيل بوصله..

يستمع لعشرات المشاكل والأسرار يوميا

وعيناه تتلصص من المرآة الأمامية لأشياء تحدث في الكرسي الخلفي العريض

في البداية كان يطرد من يراه متماديا

ثم تنازل عن الطرد مكتفيا بالتأنيب

ثم تنازل عن التأنيب نافثا غضبه بالطرق القوي بقبضته على المقود او على ركبته

ثم لم يعد يطرق بقبضته على المقود ولا على ركبته

ثم لم يعد ما يحدث ذو وقع مؤثر في نفسه طالما الدفع مستمر حتى وإن تمادى البعض

أكثر..

وأكثر..

ثم أكثر

رائحة الكيذا

في الطريق الى مسقط

أمي عن يميني، ذاهبة للعلاج متشبثة بأمل الشفاء من ألم مؤذي يضاعف أوجاعها المتعددة التي ما برحت تفارقها منذ سنوات حتى أصبح المشي عندها محسوبا بالخطوات .

شجرة في الطريق تلفت انتباهها. ظنت بأنها شجرة كيذا، دفعني اسم الشجرة لأذكرها ببيتنا القديم في ضواحي النخل حيث جاراتها العزيزات عليها اللواتي تخطفهن الموت واحدة تلو الأخرى. وأذكرها وأنا أبتسم بكيذا جارتها مريم الأقرب الى قلبها حيث كان في بستانهم شجرة كيذا ضخمة تطل على طريق عريض بمقاسات تلك الأيام. ترد علي وهي تلف رأسها باتجاه النافذة اليمنى : راحت الشجرة كما راحت راعيتها.

أواصل حديثي وقد خفضت سرعة السيارة : كأنني أشاهدها أمامي الآن وهي آتية اليك بحزمة من ذلك الكيذا العبق الذي تملأ رائحته السكة التي تسير عليها بين العصر والمغرب ودائما ما تكون ابنتها الجميلة متزينة بزهرة منها عند كتفها الأيمن ليجتمعن مع باقي الجارات في الساحة الصغيرة بين باب بيتنا وعريش جدتي التي لم تكن تكف عن دعاباتها معهن .

أواصل حديثي وبصري الى الأمام يناظر الشارع الملتوي وقد تباطأت السرعة أكثر: هل تذكرين يا أمي حليب الزعتر الذي كنت أحبه من

صنعها ولا أستسيغه من غيرها ؟ .. كانت تأتي به الينا في وقت الضحى وحينما علمت بأنني لا أحب حليبا غيره أخذت تأتي به وخيوط الشمس لا تزال تتلمس طريق لها بين أوراق الشجر وسعفات النخل وأحيانا قبلها دون أجر ودون أن تشعرنا سوى بالبهجة والفرح وكأن ذاك الطفل الذي كنته وترهق نفسها لأجله أنجبته من بطنها.

وفجأة !

يا للهول ماذا كنت أفعل ؟!

يكتمني نحيب أمي.

يا لسوء تقديري..

لقد كنت أدمي جراحها دون قصد مني ولا انتباه..

اية حماقة ارتكبت؟!

كيف أسرد هذا الجمال في ذاكرتي وهي المكلومة بفقدهن وتكاد تعيش غربة دونهن منذ أكثر من ربع قرن ؟!.

محطة الوقود تنقذني من التوتر والحرج.

أقف !.

أدلف الى أماكن الوضوء في المسجد المجاور والخالية من الناس أغسل دموعا جرت، بيد انني عند أول رشة ماء حملها كفي الى وجهي كانت رائحة الكيذا تعطر أنفاسي، ثم غدوت أنتحب دون شعور ربما أكثر من إنتحاب أمي .



كل انجاز ينسبه الى نفسه. وكل أمر يسمع اشادة الناس به في جلسة من الجلسات أو حتى على قارعة الطريق ما كان يمكن لولاه أن يتحقق على أرض الواقع.

وإذا سمع أحد ما يذم أو يعتب على شخص من أهالي الحي أو حتى الولاية يتدخل ويكاد يقسم بأنه قدم له النصح والتوجيه حول هذا الأمر لكنه لم يستمع لكلامه.

بيد ان قلبه الذي تحتويه جثته العملاقة طيب ومن شدة طيبته تتعدد زياراته لنزلاء المستشفى المركزي من أهالي القرية ليس للإطمئنان عليهم ولكن ليحدثهم عن انجازاته العظام ويبدي للناس حرصه على كل فرد ولو كانوا على سرير المرض.

حتى مجلس آباء المدرسة لم يسلم منه، فحين قرر الترشح لرئاسته أقسم الآباء جميعهم على عدم انتخابه وانتخاب منافسه الوحيد مسعود الهياس. لكن بسبب حظ حمود المتسلق الذي يكسر الصخر أو ربما خبثه تخلف مسعود عن الحضور بسبب المرض المفاجئ الذي أصابه وجعله يسكن في حمام بيته ليلتين . وقد تداولت أقاويل كثيرة عن أن حمود المتسلق هو سبب مرض مسعود الهياس حين قدم له الدعوة للحضور الى بيته صباح اليوم المحدد للتشاور والتفاهم حول موضوع

رئاسة المجلس فقدم له شاي به كمية من مسهل البطن (الحلول) لا يتحملها ثور.

ولأنه لا يوجد من له رغبة من الحاضرين في الترشح فقد فاز حمود المتسلق بالتزكية (الي ما طالعه من القلب) حسب ما قال أبو خليل احد الآباء الحاضرين.

المتسلق مرت عليه فترة من فترات حياته ظهر فيها بمظهر المتصوف المعتزل ليس نتيجة من نتائج القراءة أو التأمل أو حتى الصدمة التي تسحب عادة الناس الى هذا الطريق، لكن مظهر تصوف حمود المتسلق جاء نتيجة كلمات سمعها في محاضرة جلس مستمعا اليها بالصدفة ودون رغبة في الأصل ولكن لأنه علم بأن أحد القادمين لحضورها تاجر من تجار الولاية الكبار المشهورين، فقفز جالسا الى جانبه كما قفزت عبارة وحيدة من تلك المحاضرة الى رأسه(ان اطالة اللحية والظهور بمظهر المتدين الورع تجذب تقدير واحترام الناس وتزيد من مصداقية الناس له) فهم بقطع حديث المحاضر ليسأله : حتى ولم يكن صادقا ؟! لكنه أحال السؤال ناحية التاجر المشهور الذي يجاوره فرد عليه: في بعض الأحايين وليس دائما.

ومن يومها قرر المتسلق الذهاب الى أكثر من إطالة اللحية، فقطع

ثيابه ليصبح مقاسها أدنى من ركبتيه بقليل وأصبح يسير في الطرقات كالمسكين عينيه في الأرض ويرمش بهما كثيرا وأخذ يحاول الصلاة بالناس في مسجد الحي الذي يسكنه فلم يتحمله الناس من كثرة أخطاءه في تلاوة السور فأجبر على اعتزال الصلاة.

وقرر أن يكون خطيبا في صلاة الجمعة فبدأ بأجراء التمارين اليومية في بيته مجبرا أولاده وزوجته على الجلوس بأنصات لكن الخوف لم يمنع ولده مرهون من الصراخ بأعلى صوته وبتحريض من أمه: أبوي ما تصلح ما تصلح، فنال مرهون من الصفع والرفس ما نال.

لم يكتفي حمود المتسلق برأي مرهون بل ذهب لعمل التمارين في الجامع ليلا حينما تيقن بأن الجامع خاليا تماما من الناس لكنه لم يتأكد ان كانت مكبرات الصوت مغلقة أم لا . وقد اختلفت أقوال الناس فيما بعد بين ان المؤذن نسي إغلاقها في ذلك اليوم بعد اذان صلاة العشاء وبين ان حمود المتسلق هو من قام بتشغيلها دون قصد منه ولكن بفعل حماسه الزائد في التمارين مما جعل صوته ضاجا في القرية كلها وهو يردد: يا أيها الناس أنا حمود سليل فرسان عظام يجب عليكم احترامي وتقديري أينما ذهبت في البر أو البحر أو في الجبل . يا أيها الناس استمروا في الطريق المستقيم ولا تلفوا يمينا أو يسار ولا تنظروا لأحد غيري وشاوروني في كل شيء سواء في بيع أو شراء أو زواج أو حتى طلاق...

استمر الرجل على ذلك المنوال الى أن تفاجأ برجال البلاد وأطفالها يدخلون عليه المسجد مشدودين بهذه الخطبة بعد الساعة العاشرة ليلا، فيما كانت العديد من نساء البلدة أمام أبواب البيوت يتحاورن مع جاراتهن ويطلقن تخميناتهن.

هرول الرجل من الجامع ليمكث شهرا كاملا لا يفارق بيته. وحينما خرج كان أول مكان يذهب اليه هو دكان سلوم الحكر. وهناك في دكان سلوم الحكر الذي اكتسب لقب الحكر من شدة بخله لدرجة انه لا يملك فرشاة لأسنانه بالرغم من انه يبيع في دكانه الفرشاة والمعجون، سمع حمود المتسلق أحد المشترين المتواجدين بالمحل يخبرهم بأن الحكومة عازمة على تغيير جميع وزرائها واستبدالهم بوزراء جدد من عامة الناس.

وعلى الفور ضرب الأمر في رأس المتسلق وبادر بالسؤال عن الشروط الموضوعة فرد عليه بأنهم يجب أن يكونوا بدون لحية وبدون شنب. فخرج الرجل من هناك مباشرة الى أقرب حلاق ليعود الى بيته مع الأغراض المطلوبة ولكن بدون اللحية الطويلة وبدون الشنب. وظل أشهر طويلة يحلم بمكالمة تبلغه باختياره وزيرا لكن المكالمة المنتظرة لم تأتيه.

أبو سعيد احد رجال بلدته المثقفين قال عنه : بأن حمود المتسلق

أكبر نمام في الجزيرة العربية بل في الشرق الأوسط وربما في الكرة الأرضية والقمر والمريخ اذا كان فيهما بشر. تسأل ابا سعيد كيف حكمت عليه بهذا الحكم القاطع القاسي؟ يرد عليك: يا أخي هذا الرجل عندما يسمعك تتحدث عن أي انسان في هذه البلاد بخير فأنه يقصيه ويصغر شأنه فيجعله أصغر من النملة ويتفنن في ابداع القصص العجائبية عن ذلك الشخص بشكل تنطلي على من لا يعرفه فيأخذها على محمل الصدق ليجعلك تأخذ موقفا سلبيا منه حتى تكتشف متأخرا بأن ذلك الإنسان انقى وأرقى وأنبل من هذا المتسلق عشرات المرات بل مئآت المرات.

في أحد الأيام تناقل الناس في القرية بل في سائر انحاء الولاية بأن حمود المتسلق قد انكسرت رجله، ليكتشف الناس بأن هذه الحادثة لم تكن صدفة على الإطلاق بل تسبب فيها مسعود الأحول حين ذهب اليه ركضا ليخبره بأن وزير الداخلية ووزير الصحة فوق جبل القرية بصحبة المحافظ والوالي من أجل مناقشة اقامة مركز صحي ومشاريع أخرى فوق الجبل.

والحقيقة لم يعد الأمر غير دعابة من دعابات مسعود الأحول التي اعتاد عليها الناس لكن المتسلق أخذها على محمل الجد وأخذ يتسلق الجبل ركضا حتى وضع قدمه اليمنى على حصاة أفلتت به ثم سقط

أرضا ليكتشف ان به كسر مؤلم عند رصغ قدمه اليسرى، فظل يصرخ من الظهيرة حتى اقتراب الشمس من المغيب الى ان سمع صراخه ثلاثة من شباب البلدة الذين كانوا يتدربون على الجري استعدادا لاختبارات انخراطهم في الجيش. والمفارقة بأن هؤلاء الشباب الذين انقذوه كانوا ابناء جيرانه المقاطع لهم منذ سنوات لأسباب مختلفة هو سببها الأول والرئيس.

قيده الجبس عدة اشهر في البيت وخرج في تلك الأشهر مرة واحدة فقط على عكاز الى اجتماع مجلس الآباء في المدرسة الذي تناقص فيه أعداد الحاضرين بشكل كبير حتى اصبح الحضور لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة.

لكن حمود المتسلق لا يزال حتى اللحظة بنفس نشاطه وبنفس تفكيره ومحاولاته.

(تمت)

الفهرس

إصداراتنا

م	الكتاب	نوعه	المؤلف
1	سرديات عمانية	نقد	محمد بن سيف الرحبي
2	على حواف الشعر	نصوص	محمد بن سيف الرحبي
3	خطى وأمكنة	رحلات	عبدالرزاق الربيعي
4	رحلة أبوزيد العماني (ط2)	رواية	محمد بن سيف الرحبي
5	حقول الكلام	مقالات	مسعود الحمداني
6	هذا الذئب يعرفني	نصوص	خالد بن علي المعمري
7	رحيق النار	نصوص	زهران القاسمي
8	الطبيعة في الرواية العمانية	دراسات	منى بنت حبراس السليمية
9	إيضاح الطريقة للفنون العريقة فن المسبع	شعر	خميس بن جمعه المويتي
10	إيضاح الطريقة للفنون العريقة التغرود	شعر	خميس بن جمعه المويتي
11	قديس يحلق بعيدا	شعر مترجم	الشاعر الكوري: تشو أوهيون ترجمة/ أشرف أبو اليزيد
12	مظلة الحب والضحك	نصوص	بشرى خلفان
13	الديك	رواية	سالم الجابري
14	رفرفة (ط 2)	قصص	بشرى خلفان
15	نوارس الحكايات	قصص	محمد بن سيف الرحبي
16	حدود المشاوير	شعرشعبي	محمد الراسبي
17	اشكاليات الشعر العربي	دراسات	رقية بنت سيف البريدية
18	القافر	رواية	د. خالد الكندي

إصداراتنا بالتعاون مع الجمعية العمانية للكتاب والأدباء

1	لعيني ديالى	نصوص	محمد بن حبيب الرحبي
2	الخيمة ومفاتيح الحظ	مسرح	عزة القصابية
3	لآلئ عربية	مقالات	ناصر بن حمود الحسني
4	بين قدرين	رواية	رأفت ساره
5	تحت المطر	مقالات	خالد بن علي المعمري
6	المشهد القصصي في الأردن	دراسات ونصوص	مجموعة كتاب أردنيين

إصداراتنا بالتعاون مع البرنامج الوطني لدعم الكتاب بالنادي الثقافي

1	النباتات البرية في سلطنة عمان	علوم	يحيى بن سعيد القطيطي
2	ابن عربي عندما يكون الحب حائرا	دراسات	عثمان بن موسى السعدي
3	نظرية قدامة	دراسات	قاسم بن سالم آل ثاني

إصداراتنا بالتعاون مع الجمعية العمانية للمسرح

1	الآخر في المسرح العماني	دراسة	د. كاملة بنت الوليد الهنائية د. سعيد بن محمد السيابي

طبع بمطابع مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان

يوم على تخوم الربع الخالي

من المرأة الأسطورية في كرمها وحكمتها، العابرة للزمن حتى أوقف أسطورتها الزمن، إلى الفارس المذهل الذي انساق لخُلَّب الفخر القديم، ونسي سطوة الزمن، فعاد فرسه وحيدا للمرة الأولى والأخيرة، من أجواء القرية القديمة بنسائها المتزينات بالحلي والياس، إلى الأجواء الخاصة للربع الخالي حيث تلتقي وتنفصل عوالم البدو والحضر كأنما في لعبة أبدية، من عسل التمر البراق في وعائه الأبيض المنقوش إلى سلاحف مختبئة عن جدل التاريخ، من السائق المهموم إلى الرجل الحائر في محل الساعات، يأخذنا الكاتب خليفة سلطان العبري في رحلات مفتوحة، بلغة شفافة، تاركا للزمن أن يطرح سؤاله المخيف دون أن يبحث عن إجابة. لا أحد يملك الإجابة.

الدكتورة: جوخه الحارثي
قاصة وروائية عمانية




ISBN 978-99969-55-14-3
9 789996 955143


بيت الغشام
للنشر والترجمة